

وردة الطاهري

من القلب

من القلب.

وردة الطاهري.

رقم الإيداع القانوني: 2018MO5236

ISBN : 978-9920-36-712-7

إهداء:

إلى حُبَّين..

حُبِّي الأول الأزلّي و حُبِّي الثّاني السّرمدي..

إلى أبي الذي أحبني أولاً،

إلى زوجي الذي أحبني دوماً.

1

كان يجب أن تحل علي لعنة الفاجعة ليذمع الحبر أسفا و حسرة
على أيام خلت للضياع و السراب، و ينسج الحرف سهاما متتالية
من عبارات تحمل في جعبتها الكثير من الوهن.

لا أدري أ خرافة هي أم قصة أم حلم... كل ما أعلمه أن ليس لهذه
الكارثة بداية و لا نهاية...

لكم هي عديدة تلك الحكايات التي ظلت معلقة دون حلقة أخيرة،
دون عتاب أخير، دون عناق الفراق، و دون وداع..!

ربما لأنها ظلت متشبثة بوهم الأمل؛ آملة أن تنبثق من النهاية بداية
تغير مجرى الفاجعة .

لكم هو بائس ذاك العاشق الذي ينتظر على حافة اليأس، معتقدا أن
الحب المبهم الذي مات سينتفض ليقف على قيد الحياة البائسة من
جديد...!!

الأموات لا يعودون..

الأموات ذكرى؛ سرعان ما تتلاشى..

فكل ما يأخذه الموت منا لا يعود لنا. نحن نهدي للموت ذاكرتنا
قربانا؛ كي يجعلنا نعم بقسط من الحياة الوهمية التي نأمل أن
نتعثر بها.

الموت لن يعانق الحياة و لن يتعاقدا على الوصال الأبدي..

الموت سيد السادية المطلقة..

و الحياة امرأة خرقاء؛ عشقت نقيضها حد الموت...!

أكرمك اليوم بدفئك بين السطور ؟ أم أمتهتك بأقسى الكلام و أقتلع منك رداء الحسن الذي كفتك به باسم الحب الأرعن ؟ أم أنك امرئ لا يليق به التبجيل؛ و خسران فيه الإذلال..!!؟

لم نُحتقر و نهان حين نقترف الحب العميق، حين نعطي كل ما لدينا من مشاعر للآخر؟؟ و ماذا برأيكم يفعل هذا الأخير سوى طعننا و تجريحنا و هجراننا دون أي سبب مقنع، بلا مقدمات، بلا رحمة و بلا حب يذكر.. !!

أنتم ! أيها الجارحون الطغاة، أيها الجبناء..

أنتم و حدكم الخاسرون المذلون المهانون..

أنتم كلكم، كتلة عار تدنس ملحمة العشق الصادقة.

أما استحييتهم من ما تلحقونه بنا من أذى؟! كيف يمكن لامرئ قُدم له كل الحب على طبق من ذهب أن يضربه بتكبر و غرور عرض الحائط؟ غير مبال لنا؛ بمشاعرنا و نحيبنا و موتنا الذي يتكرر كل ليلة، كلما مرت ببالنا الخيبة الموجهة.

تظنون أننا سنبقى أسيري الأين و الكلال، مسجونون خلف قضبان التعاسة الأبدية..

تالله لكم أنتم مساكين !!

متحجر القلب، أنت !

كيف أمكنه أن يظل صامدا دون أن يهزه الحنين، دون أن يشفق و
لو للحظة حب مرت بيننا..؟

ألا تدري كم أضناني النحيب؟! منذ فارقتني و أنا أموت في
اللحظة بليون مرة.. فارقتني و فارقتني معك الحياة، النوم، السعادة
و حتى الأمل.. تراك كنت أنت الأمل !
فغدوت الآن مسلوبة الأحلام، أستنشق اللأمل..

كطفلة تعلقت بك؛ و نفس الطفلة صرت؛ لكن منخورة الجوف..
قيل أن الليل هو من ينزع عن خوالجنا أقنعة الكبرياء تلك؛ لنتعري
أمام أنفسنا بحقيقة ضعفنا.. أقر على أن هؤلاء أحبوا ببخل، فأنا
عارية منذ هجرتني..
بدونك أشعر أن الأيام دهور من الوهن، و أن الحياة جحيم لن
ينتهي..

لم تكابر الآن أيها الموت؟! أما كنت تغريني لأقع بك؟ أم أنك
كالحب.. مستبد، ساخر، تتلذذ بسماع أنيني و تطيل الغياب عني
كي أحترق أكثر، و أدوي أكثر، فتننشي !
أنا أبسط لك ذراعاي الآن.. تعال، عانقني بقوة و خذني إلى الأمد..

غدت أحلامنا الوردية؛ كوايبسا مربية نرجو فقط النجاة منها..
لكننا أحيانا نرضى بها و ببشاعتها لأنها ملاذنا الوحيد، و هنا يكمن
سر الحب.

الحب؛ هو أن توقد بك النيران، و تعوي أنت بنشوة دون تدمر:
أه !! هل من مزيد؟!!!

الحب؛ هو أن تهوي بنفسك في أنقاض المذلة، ليُعز
محبوبك..

الحب؛ هو أن تموت حبا .. ليعيش حبك .. !!

و أنت هو الحب ! تتدحرج على ذاكرتي كلما مر على مسامعي
لفظ "الحب" فتقع على فؤادي كجلمود يأبى الكسر و الحراك و
يحرك بي الشوق خوالجي الرعناء؛ فتتعاك هذه الفاسقة معتقدة
أنها ستتخلص من جرمك و تنسيني إياك..

وعدتني بعدما أهديتك فرصة أخيرة؛ بأن تتغير و لن تؤلمني و
تضرب بفؤادي عرض الخيبة.. كنت تردد على مسامعي أنك
ستحقق لي السعادة التي أستحقها و ستجازيني عن حبي..

فعلا تغيرت !! و جازيتني بأحقر ما تملك من إهمال و ازدراء..

المشكلة هنا لا تكمن في إخلافك بالوعد، بل تكمن في جعلي إياك
منبعا للفرح. إذ اكتشفتك في يقظة صادمة أنك لم تكن سوى وهم
الصدق..

لم لا يصدق من وعد ؟؟ و لماذا يُستخف بالوعد ؟

الخلل يتمحور في عمق غبائنا العاطفي.

غباء ! لكم هي بشعة هذه الكلمة ! تُشعرك بشيء من الإهانة و
الإذلال و بأن كل قراراتك و اختياراتك التي حسبتها لو هلة أنها
الصواب المطلق ما هي إلا خرافات تافهة؛ نابعة من غباء متحرك.
مضن ذاك الإحساس بالطعن. و الألم هنا ليس له علاقة بما إن كان
من الخلف أو الأمام أو منك !!

ما يؤلم هنا هو أنني طعنت نفسي لأجلك، و صدقت في غيبوبة
حب أنك الخلاص من عالم الواقعية الأرعن. فلم تكن في نهاية
الأمر سوى عبث من تخاريفه.

و لم يتضح لي سوى أنك جبان و أنني بلهاء آمنت يوما بالعبث.

حتى أنك لم تمتلك الشجاعة الضئيلة لتواجه مصيرنا بشموخ كما توهمتك..

ترى ذاك الصمود لم يكن سوى قناع من أقنعتك التي تخفي الكم المهول من وضاعتك العفنة. لا تعقد حاجبيك و لا تستغرب من كلماتي هاته فما هي إلا نتاج من مجزرة عشقية كنت بها أغبي جزار لم يتمكن من إمساك سكين الغدر باحتراف.

أجل ! أصبحت متينة بفعل جرمك العشقي الشنيع و لم يعد بإمكان أية هزة عاطفية أن تهوي بي في مستنقع اليأس الغارق. فمصائب الفؤاد أحيانا فوائد للنفس و فرصة لجعلها تتحول من حال لحال و أنت وحدك أيها القارئ من سيتحكم بالحال الذي ستؤول إليه. فإما أن تتشكل بداخلك عقدة الرهبة الموحشة من الحياة و إما أن تنتشرح نفسك و تبسط ذراعاها لمعانقة الحياة.

فاجعل الخيار الثاني دربك المقبل. إني أتذكر قول عابر حين قال: "لا تقولي صدمات؛ بل دروسا..!" ظلت هذه العبارة تسبح بين أفكارى و حققتها بمصل الإقناع؛ أنك و العابرون أجمعين ما أنتم إلا دروسا و تجاربا لأستقبل بها دروسا أعظم و أعمق و لتكون لدي مناعة أقوى لتصدي الضربات المهلكة كي لا تظل مهلكة.

حين يحتدم صراع الذاكرة.. تنهال عليك الأوجاع من حيث لا تدري؛ فينتفض الجسد صارخا و الفؤاد منتحبا.. تشعر أن مجزرة ما ألحقت بداخلك و أن لا مجال للهدنة..

لكم هي مضية حروب الذاكرة !!

نغدو حطاما بعدها، أشلاء لا نفع لها..

الموت دوما ما يكون مركونا في زاوية من زوايا الذاكرة،

ليتربصنا.. !

و ها أنا أحملق به، إنه يرمقني بعين الإشتهاء و يتبسم لي بلهفة.. يحاول أن يبسط لي ذراعه لكنه يأبى معانقتي.. فالقدر قد حال بيننا. إني أرى بعينه خيبة الاحتواء، و قد اغرورقتا بدماء اليأس.. و بداخلي شوق إليه.

فتعال يا موت لنخون القدر.. !

و كفي أيتها الذاكرة عن نهش خوالجي..

هناك من يعتبر أن كنزه الوحيد هو سجلات الذاكرة المتراكمة. في حين أن هناك فئة أخرى تتلخص عذاباتها في كلمة واحدة؛ و التي هي "الذاكرة" ..

إننا نخزن الأسوء في حيواتنا مما يجعلنا نلعن ماضينا بمقت، و نرمل بلحظات الفرح الضئيلة بحاوية النسيان.. لم لا نفعل العكس ؟ أم أننا نتباهى بمن يتوفر على وجع أكثر؟ أم أن الذاكرة تعادل الوهن؟؟

أيا يكن إني اليوم أشرع في تنظيف ذاكرتي منك، و تمزيق كل الآهات التي تطرق مسامعي كلما هممت قبالتى كشبح وضيع..
إني أفك قيود الذاكرة اليوم، كي لا أظل حبيسة التعب و اليأس..
و إني أستحق ذاكرة يحتذى بها، ذاكرة خالية من الأوجاع و الندوب..

ذاكرة مجردة منك !

حالات الإكتئاب التي تطل علينا في كل مرة ننتكس بها، ما هي إلا طريقة أخرى ليتسلل بها الموت إلينا..

إنه يتفنن كرسام في وضع الخطوط الأولية للبدئ ببعثرة الألوان السوداوية الممزوجة بعذابات الذاكرة، تعب الشوق المذل، و آهات النحيب الناخرة للجوف، ثم يمسك بفرشاة الحياة ليزين بها لوحته المضنية..

إن الموت فن.. يستحيل مجاراته و لا يمكنك الإستمتاع به إلا إذا اتخذت خيانة الحياة؛ حلا.. !

" و كيف تكون الخيانة حلا..؟

و كيف يكون النفاق جميلا؟! "

فلنعتنق النفاق قليلا أيها الفؤاد لنرى جماليته و لنتخذ الخيانة حلا
لنستمتع بتعذيب الآخر.. ! لننقلب على نظام الحب هذا و لنسلب
حقنا بوحشية دامية.

كلما مررت بهاتين العبارتين ل"نزار قباني"، أفكر في إمعان كيف
يكون أولئك الخونة مرتاحون بما يافكون من أفئدة..

إن الحب يرقص على الجرح بانتشاء مفرع.. ينتفض برهبة حارقة
ساخرة، يعوي وجعا، يحتضر، يعوي مرة أخرى، يقفز ألما ثم
يتمرغ بأرض الخيبة منتحبا..

قد أصيب بجنون الخذلان !

و ها أنت هناك تلمحني بندم نخر غرورك المعتوه، ترميني بطرف
الحنين الأبله ظنا منك أنني سأرميك بقلبي لتلهو به ككلب قدمت له
عظمة ما..

إني قادرة على أن أحملك بك بحنق و أصفع وجهك الذي لطالما
تحسسته و لطالما أطلت النظر به كي لا يحذف من ذاكرتي التي لم
تخزن إلا بك.

كنت أرى بين تفاصيلها طفلا صغيرا يقبع بتلك العينين النائمتين.

كنتُ أمًّا !! اتخذتك طفلي الذي رماه ببابي ذاك القدر المحتوم..
لكنك عاق !! عاق أيها الأرعن.. فقد مزقت بجنبك قلبا لم يكن لك
سوى حبا مقدسا.

إني أعتذر اليوم من أطفالي الآتين، أعتذر من البشرية أجمع لأنني
لم أمتهتك بعتبة القدر.

فلا تحرق بهذه السطور ببلاهتك المعهودة.. إنها أنا حقا .. !

لا تستخف بتلك المطيعة التي فقأ عيناها حبك سابقا.. فأنا أبصر
اليوم؛ أبصر تشوهاتك كلها.

لا تحملق برجاء، طالبا المغفرة. فأنا لست بألهة لأعفو عن
خطيئتك الشنيعة؛ الجحيم بانتظارك و لا بد من أن تهوي به
لأنتشي..

عزيزي الوفي، إن حاولت الإقدام على الخيانة ستتوجع كثيرا في
بادئ الأمر.. ستشعر بألم وخزة الإبرة الأولى؛ سيدور قلبك و يكاد
يغمى عليه من شدة تأثير المخدر.. لكن سرعان ما تركض الخديعة
بدمك و يصبح الأمر بسيطا..

المسألة مشابهة بتعاطي المخدرات.. يكفيك الحصول على شرف
التجربة الأولى.

يجب علينا في بعض الأحيان أن ننزع عنا رداءاتنا و أن نتخذ
عكسها لنمضي بسلام في هذه الحياة العاتية. كأن نخون بعدما
اتخذنا الوفاء خليلا .

فلا بد من أن نغير وجهاتنا بعد تعب انتزع منا كل أسباب الحياة..
لكنني اليوم تمكنت من أن أنتزعك من بين شفتي الحياة و أقدمك
قربانا للموت..

أضنيتني للحد الذي لا حد له، و اجتثت من بين أضلعي النبل الذي
لطالما قدمته لك على طبق من حب..

و الأخرق من هذا كله؛ أنك اغتصبت الطفلة بداخلي.. أدميتها..
نهرتها.. شوهتها..!! فعلت كل ما بوسعك كي تجعل كلي يتلاشى.
لا أنكر أن بعضا مني قد انهار؛ لكنك لا تعلم و هذا راجع
لسذاجتك، أن البعض الذي تبعثر على ضفة النسيان هو أنت!

الحب لا يموت مهما حدث. بل ما يموت بداخلنا هم الأشخاص..
يحتضرون ما إن تُجثَّت المكانة العالية منهم جراء وضاعتهم ثم
يصيرون جثثا هامة عفنة بمقبرة قلوبنا ! و بداخل كل منا مقبرة.

لم أطلبك من "الرب" .. لم أشأ أن أدرف دموع الرجاء لأجلك أكثر مما ذرفت..

أذكر أنني بكيت في ليال عدة أصارع القدر برجاء و خوف يمزقان كل ما هو بي و حولي. في سجدة ما؛ كنت أنوء بضعف أشد من الضعف و أردد "و إن لم يكن خيرا اجعل به خيرا و إن لم تجعله خيرا ابتلني به.. " كنت أرجو "الرحمن" بكل ما أوتيت من طول نفس للرجاء أن لا يبعدي عنك و لو شبرا. فابتعدت كما ابتعدت السماء عن الأرض..

لم أطلبك من "الرب" في هذه الليلة ليس لشيء؛ و ليس لأن نفسي الطويل انقطع و لا لأن دعواتي ضاعت بزحمة الأوجاع.. لم أطلبك؛ لأنني أبرمت مع القدر معاهدة تراض، فما عاد فراقك من الأهوال التي أهابها..

و قد تمكنت من عيش الحياة، حياة خالية منك. حتى المدينة التي كنت أذعر من التسكع بها؛ عاشت بعدك و لم تمت.. الأزقة العريقة، صاحبة الورد، بائع المثلجات، عازف القيتارة الذي يتلقف بضع دريهمات بعد عزفه.. كلهم يتبسمون لي و كأن من كان معي لم يكن سوى ظلا سرعان ما اختفى. ما زال الحال على حاله و الناس كما هم و الجدران، البنايات، الأشجار و المدينة كلها بخير.. بخير بعدك.

وصوت فيروز لم تشبه شائبة، إذ ما زالت أغانيها تؤثر بي و كما
لو أنها المرة الأولى.. الحب الأول..

نعتبر بعد الفقد أو الفراق أن الحياة ستتوقف و أن الموت سيحل
علينا لا محالة، أننا سنحضر حسرة و سنتطفئ أنوار الأمل.. لكم
نحن سذج ! لكم نظرتنا منحصرة بين متاهة البداية و عذاب النهاية
! لكم كان حبك عذاب ! لكم صار الحب شهيا بعدك !

صدقا، إني ما أزال أشتهي الحب. حتى أنني أنكر في بعض
الأحايين أن ما جرى بيننا؛ حبا ! و في جلسة وهم أستحضر اليقين
التام بأنك لم تكن و بأن ما كان ليس سوى سهو أو تجربة حلت
بها كمية العذاب المحتملة لمناعتي العاطفية. أتدري الأمر الأشنع
؟؟ أن تنهار النظرة المثالية لتتبين بشاعة الواقع. ربما كنت جزء
أو حليفا لهذا الواقع الأوضع منك، لكنك و بشيء من المكر الأبله
حاولت إتقان دور المثالي الذي ما فتئ أن تبخر بهواء اليقظة.

أن تكون مختلفا عن العالمين؛ يتطلب منك صبرا و حبا.. أن تتقبل
الأمر التي تضنيك كلها بصدر رحب و أن تتمتع بالإرادة الكاملة
كي تواصل اعتناقك للاختلاف الذي لن يعود عليك سوى بالتعب..
أن أعتنق الاختلاف و أكون حليفا لمبادئ التي تثير جنون
الواقعيين، أن أدفع ثمن تمردي على الواقع بصفعات دائمة أهون
من أن أتبسم للعالم الغبي ببلاهة و أكون نسخة مكررة من أغيار
ماديين لا حب لهم و لا مبدأ.

إني أتعجب من كون الأشخاص ماديين، يأخذون الأمور على
محمل الواقعية التافه، يقدرّون الأشخاص أمثالهم بقدر واقعيته
الباهظة و يمتنون رواد العاطفة باعتبارهم إياهم بلهاء و غير
متيقظين لما تتطلبه الحياة.

إنهم يحسبون أن معاييرهم هي المتطلبات الأمثل لنهج الحياة بشكل سليم، غير متفطنين للخواء البارز وسط صدورهم.

إني أجهل سبب سطحية الأغيار.. أبجدياتهم العقيمة.. أفكارهم العاقة.. و أموت كلما رأيت الحب يحتضر بينهم. إني أنوء تحسرا على قلوب ليست أدوارها سوى ضخ اللاحب. أئن كلما أكل الدود أشلاء العاطفة الهوجاء.. إنهم حتما فارغون بسبب خوفهم اللامفهوم من السير بحب و عاطفة عميقة بهذه الحياة ربما لأننا نهرب من الأمور العميقة مهما كانت تبهرنا بجماليتها الأخاذة.. و بالرغم من حبك لي إلا أنك لم تتمكن من تحمل هوله الذي صفعتك به.. لقد أخافك أروعك و أروعبئي و ليتني أهرب من نفسي مثلما فررت من الحب، ليتني أتححرر من القيود التي لطالما سلبتني للعمق؛ لسكرات الحب..

أنت مثال واضح من رواد الواقع، تستخفون بالحب المكنون لتلبوا رغبة النزعة المادية، صارخون "لبيك يا واقع.. لبيك.. لبيك.. فداك.. فداك.. و من ثمَّ سحقا لأغوار العاطفة دونما دقيقة صمت ترحما على أوجاعها.

إنكم مهما حاولتم أن تبسطوا أساريكم في وجه الحياة إلا أن الفراغ و الحاجة للإحتواء ستقبع بأعينكم و تبرز و تتضح كما الشمس في وضح النهار. مهما حاولتم إخفاء هشاشتم الداخلية إلا أنكم لن تقدروا على موارد الحقيقة، خاصة و إن كان بينكم سكير العاطفة. و طوبى لمن هو في غنى عن الملموسات؛ سالكا رحلة البحث عن الحب.. لا شيء سوى الحب..

أحياناً؛ عليك أن تبكي طويلاً.. أن تبكيهم في خلوتك و تجتث
ضعفك كله بدمعك الحارق. و أنا بكيتك كثيراً لأنساك و بكيته هو
كذلك كلما مرت بي هزة ضعف موجعة.

إننا لا ننسى من أحببنا لكننا نتناسهم كي نستمر و نمضي. إننا
نللمهم بين أسطر الماضي و ما إن تسقط دفاترنا في لحظة حنين
تنفتح الصفحات الغارقة بالشوق و الذكرى.

صدقاً لم أنساك و لم أكن تجاهك كرها شنيعاً.. ما زال الحب هو
هو، إلا أنه يرميك اليوم بنظرة وجوم و عتاب ممزوجين على
شاكلة بُعدٍ هزيل. لم أنساك؛ إذ لا زلت تترددين على الذاكرة
بالأعياد و الهزات النفسية و كذا حضرت بعيد ميلادي كطيف
أبيض ناصع و كما لو أنه ملاك شيطان. و بمعيتك عفريت النذالة
واضعا سلهامه الأسود راميا إياي بعين الحنين و أنت تحدجيني
بعتاب و وهن.

كنت حاملة كعكة من لحمي النيئ غارسة به شمعة موقدة. وضعتها
أمامي بوضاعة منتظرة إياي كي أتمنى أمنية تجمعنا و أطفئ
شمعة الغدر تلك. لكنني لم أفعل، أغمضت عينايا، استعذت بالله
من شرِّك، و اندثرت.

فعلا أن أقرب الناس إلينا هم من يطعنوننا في ثمالة ثقة؛ فثنتهك
هذه الأخيرة و نغدو نحن منخوري الصدور، فجزء منا قد اندثر

بفعل الجرم المشؤوم ألا و هو الخيبة، و الجزء الآخر يعوي،
يحتضر، في انتظار سكونه الأبدى.

إن الحقد نتاج، عن خيبة ما، صدمة ما، تربية ما، أمر ما. و أنا
اليوم امرأة حاقدة على كل ما كان و من كان في حياتها من أناس
و أمور.

إني اليوم أحقد عليك و بشدة لأنك كنت أوضع مما لم أظن. صدقا
أن الأمور التي تستولي عليها العاطفة تخبئ كما هائلا من الحقيقة
التي نابى تصديقها و رؤيتها مهما كانت واضحة وضوح الشمس.
كنت أعلم كلمة السر التي ستخولني لتسلل إلى أعماق أعماقك
العفنة؛ لكنني كنت كما البلهاء؛ أتجاوز الغوص في معرفة
المكشوف فما بالك بالأغوار. لربما هي سذاجة، غياب، ضعف،
خوف.. لا أدري، كل ما أوقنه أنني كنت سعيدة بنسج الوهم و
تصديقه. و كنت مأخوذة بما رسمته عنك و ليس بك. أو بالأحرى
كنت مأخوذة بما جعلتني أراه و أعرفه عنك مخبئا كما فظيعا..
فظيعا من الفظاعة.

ها أنا اليوم هنا أهدق بي هناك ! أراني طفلة وحيدة منكسرة، تنن،
تبكي، تلطم وجنتاها، تصرخ، ترتطم بالأرض، تحتضر، ثم
تخرس. أراني غضة الروح و الجسد، متلاشية العاطفة، منكسرة
الوجدان، ذات قلب مذبوح.

أنا هنا اليوم؛ أهدجني باشمئزاز و شفقة، أنن هنا و أبكي علي،
أراني خسرت جزء كبيراً مني في سبيل اللاشيء. و لأجل أن
يعيش شيء منا لابد أن يموت الكثير؛ الكثير منا هناك لأجل
لاشيء و لكل شيء.

ليتني أتغير و أرحل عني تاركة إياي لأكون أنا الأخرى ! لأبعد
عني عاطفتي التي تجتثني بين أحضانها بعنف، لأعانق شيئاً من
السلام، لأرى حقيقة الحب التي لم تكن من نصيبي معك. ليتني
أنتزح عن هذا العالم فأنا لست لأجل هنا و لا لأجل هناك.. أنا
شيء ما، روح ما علقت هنا بفعل عبث ما.

إننا نشبه أولئك الذين خدعونا ! أجل.. نحن نتقمصهم ما إن يغادرونا، نغدو بنفس تفاصيلهم الرعناء التي لطالما كانت سببا في هلاكنا؛ لربما الخيبة هي من تجعلنا نسخا متكررة .

لقد قالت لي إحداهن: "لا تبحتي عن المثالية فهذا ليس موضعها، إنها هناك في مكان آخر.. هناك عند الرب!"

في تلك اللحظة بالذات عرفت السر الذي نهشني لسنون عدة.. و في آن واحد علمت مقدار تعلقي بالمحال و اجتثائي لنفسي بوقعة السراب. أجل لربما ما أبحث عنه هو المثالية و لربما شيء آخر يشبهها.. لكنني أرفض، أرفض بشدة استحالة إيجادها هنا..

و قد استطردت حين جلدتني بسوط الحقيقة:

"عليك أن تعتادي ذلك!"

و بربك أيتها الروح المنهكة كيف أعتاد ما لم أتقبله في حياتي، أأعتاد أنني لا أتقبل ذلك؟ أأعتاد أنني حبيسة الوهم؟ أم أعتاد عذاب الحياة ليكون مفازي مثالية خالدة؟ لا أود البوح بما في سريرتي حول هذا الأمر لأنني أخشى أن يحدث ما سأقوله الآن، فأنا أو من أن كل ما يكتب يحدث، و يخيل لي أحيانا أنني أكتب على جيبني ما سألقاه. قد يكون نوعا من الجنون، نوعا من الوهم، لكن هذا الأمر جزء مني فعلا.. إنه جزء يجعلني أهابني حين أكتب. فهلا قلت لي يا سيدة كيف سأعتاد؟ لربما علي أن أبتز عاطفتي، لربما علي أن أتكر بزي المادية لكنني لا أريد.. إنني أنقرز من الأمر بشكل مفرط.. لا أرغب بأن أكون غيري و أحتقروني، مع أنني أحتقروني بعاطفتي، برعونتي و أحلامي.. إنني

أحتقرني في كل حالاتي لكن الأهون أن أحتقرني و أنا أنا.. لا أنا
غيري.

لقد كنت معك كما المؤودة التي التي سئلت بأي ذنب قُتِلت ! كنت
تخدع الطفلة الموجودة بداخلي بكثير من المكر العفن كي تدفنها و
تجعل منها جمادا.. و ما الجماد إلا شخص قُتِلت به روحه الطفلة،
جزءه التافه، عمره السابق. كنت تريدني كهلة خالية من الحياة كي
أموت ! كي أموت لأجلك لا غير. أهنالك أنانية أعنف من هذه؟؟
أن تميت المرء الذي أحبك بصدق ؟ أن تجعله يدفع ثمن لا شيء
بكل شيء ؟ و أنت اللاشيء و حبي كان كل شيء.

إن الحب يا صديقي؛ هو أن يحيى بك الفرح من كل جانب و أن
تظل روحك الطيبة الصببانية محلقة مبتهجة إثر الحب. و أن
تحب، ذلك يعني أن تجعل الآخر جناحك الآخر لتحلقا معا.

و يشترط الحب أن تحب الآخر كله و أن تكون الكل لذاك الآخر.
و أنت لم تحبني كلي، إذ كنت دوما ما تهدف إلى خنق أنفاس
الطفلة التي بداخلي كي تنعم أنت بالسلطة، سلطة أن تكون المدلل
في علاقتنا تلك. كان وجود الطفلة يضايقك بشكل ملحوظ، إذ أن
الطفل بك كان دوما حاضرا عمدا كي أنضج و هذا ما لم يضايقني
يوما.. كنت مسرورة كوني أمًّا دون أن أتعرض لكل العذابات التي
تتعرض لها الأمهات، العذابات البيولوجية، أما النفسية فقد تحملت
من شغبك ما لا يمكن أن تتحمله أمهات أهل الأرض !

لم تكن سوى طفلا مدللا، أنانيا.. كنت تريدني شمعة تنير حياتك و
تحترق لأجلك، ولم تكن لي سوى عتمة. و ما بعدك نور.

سرنا معاً، أنا و الغدر، في غيابك !

إن العراك الذي كان يشوطني بتلك الفترة المشؤومة أحرقني أكثر مما لزم الأمر. و كنت تائهة بين أن أظل وفية للسراب و بين أن أعتنق الغدر. كان الإنتظار يفحص خوالجي و يرمي بها في نار جهنم. لقد كنت أتردد دوماً على تفاصيلك فقط لأكرهك و لأنساك.. لم أكن أعلم أنني كنت أميتني ببطء و أن ما فعلته بنفسني غباء تلو الغباء. و في يوم ما، في لحظة ما، مددت يدي للغدر و بادلته نفس الإبتسامة الخبيثة. انصهرت أناملي بين يده الضخمة الخشنة، تخلل إلي شعور بالنشوة و امتلأت عينايا بِشَرِّ أخبث من الخبث نفسه، طالعت الطيف الذي كان يركض لاهثاً خلفي، خزرتة بطرفي و التفت للغدر و سرنا معاً و حيدان بدرب لا أعلم نهايته. تمكنت من أن أزدرك ببساطة بعد كثير من العناء، خنتك ! لا لا.. أنا خنت الوعد.. أحيانا كي نمضي علينا أن نخون، أن نصير عكسنا لنعيش.. و هذا ما فعلته ! حتى أنني لم أشعر بتأنيب الضمير بتاتا.. لا أنكر أن شيئاً بداخلي كان يشعرني بإبهام ما، لكنه لم يكن تجاهك، بل تجاه عواطفي و نفسي.. و شيء آخر مضاد أشعرتني أنك تستحق أن تخان و يغدر بك، حتى أنني شعرت بعذوبة النصر تسري بأوعيتي و قد انتصر ذاك الأخير و غدرت.

ليس هناك أي معنى ليظل المرء وفياً لشيء انقرض، خاصة إن كان انقراضاً اختيارياً. على الحياة أن تسري و على المرء أن يمر. فإن ظللنا ساكنين في لحظة الانتكاس سنموت.. ستموت عاطفتنا

التي رَمَمَها مرارا عند كل هفوة، و إن ماتت العاطفة مات
الإنسان.. و أنا لم أكن مستعدة بعد لأموت، و جعلتك تمر أيها
المر.. و ظلت عاطفتي الهوجاء حية ترزق تنتظر النور.

إن ما يقتل الأشياء الجميلة البرود و البشر، كلاهما يبتدئان بحرف
الباء اللعين.. الذي صرت أتحسس منه؛ هذا الحرف الأعرج،
يذكرني بالشيئين الذين لم أكن لهما سوى الحقد و الضغينة..

فالبرود سم يفتك بأعماقنا كدودة خرقاء مفعمة بالشر اللعين.. فما
إن يتخلل إلى التفاصيل، تنطفئ الإبتسامة الصادقة، تفقد الأحداق
لمعتها المبهمة، تجف الخواج، يعتصر القلب، تندثر لهفة الشوق،
و يغدو اللقاء بلا معنى، و العناق لا حاجة منه، فيحتضر كل شيء
وينقضي الحب !

أما البشر، أعداء الحب، لعنة الحياة الأزلية، فتاكون أكثر من
البرود القاتل، إنهم يشوهون كل شيء، و يميتون البسمة على
ثغورنا و الخواج المبهمة في أعماقنا. إنهم وباء لن يزول إلا بفناء
الدنيا، و حينذاك ستتخلص هذه الأرض من عبئها الذي طاقته
لقرون عدة.. و أظن في كثير من الأحيان أنه كان لهم دور مهم
في بتر ما بيننا، و لكن أجزم في لحظات يقينية و أنفض الشك عن
الأفكار التي تتسلل إلى مخيخي؛ أن العاطفة التي لا تشوبها شائبة
مادية كانت أم شيئاً آخر، لن تسمح بأن يُنتزع منها الحب الصادق،
و لم تكن طبعاً عاطفتي أيها الجبان، بل كان هناك شيئاً من النقص
يشوبك، شيئاً من الجبن و التلاعب. و قد تلاعبت بعداد عواطفي و
جازفت بها لتتيقن أنك غارق في فشلك العاطفي و الشخصي،

تيقنتَ بأنك خاضع لاختيارات الغير التي تملئ عليك، و بأنك مرتبط ارتباطا وثيقا بمبادئ الواقع الرعناء. و تأكدتُ أنني الغارقة الوحيدة في بحر الهوى، عابدة لعاطفتي التي لن تسجد لواقع لا يلائمني و لا ينصر مبدئي الذي خسرت لأجله جزء كبيرا من الحياة التي يعدونها طبيعية.

إن الطبيعة التي تتسم بها الحياة بالنسبة إلى إديولوجيتهم الخرقاء؛ كلها مقترنة بالمادة و المنطق الذي فصلوه على أهوائهم المجردة تجردا نهائيا عن الجانب الروحي العاطفي. إنما الحياة المثلى حب، و سرها يكمن بالبساطة، و الإنسان دون عاطفة حيوان أعرج.

إننا لا ننهي علائقنا بالأشخاص، بل الأشخاص هم من ينتهون منا!
و كأنهم حبل الكذب القصير سرعان ما ينقطع.. فهم يندثرون من
حيواتنا بملئ إرادتهم و يزجون أنفسهم بدائرة "كان" وهم في قمة
و عيهم العاطفي- إن وجدت بدواخلهم عاطفة- على أي.. إنهم
يسلكون درب الرحيل دونما أية زعزعة قد تفلت بأرواحهم و
تسقط في هاوية العذاب.. ترى هل يعذبون هؤلاء حين ينتهون
برغبة منهم؟ قد لا يذوقون الجحيم لحظة الإنتزاح لكن.. أتعلمون
ما الذي يجعلهم يئنون ندما؟! إنها المكانة التي كانوا يستولون
عليها بقلوبنا، حبنا الأعظم، وفاؤنا، اختلافنا، امتيازنا، و كوننا
نادرون. نحن الأقوياء لا هم.

إن الأشجار تتحجج بالخريف لتسقط عن كاهلها بضع وريقات لم تعد ذات أهمية بالنسبة لها، و تحتفظ بجذورها المتينة إذ لا تنتزح عنها مهما حدث.. فأى ذنب هو للورقة التي اقتلعت من غصيناتك أيها الرجل.. و أى جذر هذا الذي أبيت أن توارب عنه أو هامك.. و أى خريف كان وسيلة في تخليك عني..

الثقة واللاثقة !

الأولى إبحار و مخاطرة؛ عمى قد يهوي بك بين أحضان المأساة
و قد يخلق بك نحو غيمات الجنات.. و الهاوية غالبا ما تكون من
نصيب الواثقين.

الثانية انتزاح، رهبة، توجس مؤلم محيط بالوسواس الناخرة
للنفوس و مسلك للإنزواء و الوحدة الأبدية.. إنها العذاب الخفي و
كلتاهما عذابات..

كان الوقت يمر بطيئاً عند غيابك و كأنه سلحفاة أضاعت طريقها؛
 تحوم حول بقعة واحدة معتقدة أنها متجهة نحو دربها المعلوم.
 مرت الشهور و كأنها سنون من البرود و الفراغ القاتلين.. و كأن
 السواد قد عانق الحياة بكلتا ذراعيه و دسها بحضنه الغارق. كأن
 الناس ليسوا سوى أشباح بإمكانني اختراقهم دون أن يلمحوني و
 لربما كنت الشبح الذي لا ينقش لهم. صار كل شيء بلا طعم، بلا
 لحن، بلا حياة، بلا لون، بلا شيء يذكر.. و اليوم بعدما تداركتك و
 أجزمت أن ما بيننا لم يكن حبا؛ تهيأت للحياة و صرت أعيش حقا
 كأنني لم أعش يوما ! نعم لم يكن حبا فقد ظننته كذلك في سذاجة
 مني و ليس بعد الظن سوى الإثم.. كنت الإثم الذي اقترفته بملء
 فؤادي فليت الله يغفر ما بدا مني من آثام أعظمها أنت !

ظننته حبا حين لمحتك برداء الغرابة التي أسرتني، حين رأيت ما
 ترى قارئة الفنجان في عينيك، حين حسبت أن الإبحار بسفينة
 مثقوبة ستنجو بقبطانها الحب الشجاع، حين تداركت البشاعة
 متحججة أنها ركام التاريخ الدامس.. ظننته حبا فلم يكن.

كأنما عشت وهما و كنت سعيدة بالوهم و كنت بارعا في إتقان فن
 الألاعيب مما جعلني أغرق في دوامة التصديق إلى أن استنفقت
 يوما على حقيقة كنت أعلمها، إذ رغم أنني ظننته حبا كنت متيقنة
 بأنه ليس كذلك و كنت عالمة بأن كل شيء سيزول و أنها مسألة
 وقت.. الوقت الذي مر بطيئاً بعد غيابك و جحيما برفقتك.

كنتُ أنتظر الحلقة الأخيرة بفارغ الصبر؛ ففي كل حلقة أخيرة
هنالك مفاجأة. كنت متمنية أن تكون سعيدة.. ففراقك كان النهاية
الأسعد.

الفراق أحيانا رحمة يهبها لنا القدر عطا علينا كي لا نندغمس أكثر
بالضياع نحو السراب و لأجل اللاشيء.. كي لا نضيع من أنفسنا
في سبيل أغيار لا يستحقون، لا يلائموننا، لا يحبوننا، و ليسوا
لنا..

إن المحب الصادق لا يدفع بك نحو الهاوية؛ ولا يجردك من قيمك و مبادئك ليفصلك على مبتغياته و رغباته البعيدة جدا عن الغاية المثلى من علاقتك به؛ ألا و هي المحبة الخالصة. إنه لا يحملك البغضاء و لا يمحو البياض الناصع فيك بسوداوية الحقد و الضعف. إن المحب الحق هو من يدفع بك نحو النور الإلهي و يجعلك بأرقى القيم التي لن يهدأ له بال إلا و هي مبنوثة بك.. المحب الحق هو سفير التسامح و الود، صاحب القيم الأخلاقية الخالصة، عراب الحب في الله لا لشيء فقط لأنه يحبك بصدق، لأنه يريد لك الخير كما يريد لنفسه.

إن مرتبة هذا الحب أعلى و أسمى ما يمكن أن يهدى للمرء في حياته، بعيدا عن الشوائب و المنغصات و كذا السوداوية.. إنه جزء لا يتجزء من السعادة الحقيقية التي قلما يجدها امرئ من العالمين.. فلماذا تهزؤون بمن يهديكم مالا يهدى لأي عابر؟ و لم تنتقصون من المشاعر الصادقة النبيلة ثم تشوهونها بأنانيتكم الرعناء؟ تذكروا جيدا أن ما ضاع منكم في عجرفة اقترفتموها لن يعود.. و أن ما أفلتم من أيديكم و قلوبكم و دواخلكم لن يدلف إليكم من جديد فعظم الله أجركم.

كن أنت دون أن تهرع نحو إرضاء الغير. كن أنت بإيجابياتك و
مساوئك فمن يحبك سيحبك لذاتك .. لأنك أنت؛ كما أنت.

أعلم أنك تشعر بتعب فظيع، و أشعر بكل شيء يمزق خوالجك..
 أتعلم صديقي أنك ستعجز على أن تكون بخير إن ظللت هكذا.. ؟
 أدري أنه يصعب عليك أن تنفلت من تركيبتك هذه و أنك حاولت
 بما أمكن أن تتأقلم مع الأوجاع فقط لتظل أنت..

أنت وَفِيَّ حتى لسذاجتك ! لكم هو أمر مضمّن يا عزيزي! لكم هو
 مريب أن تظل حبيس نفسك دون أن تخطي خطوة خارج
 قوقعتك..! إنه موجه أن تعيش مكبلا رافضا التحرر بملء إرادتك.
 فعلى الرغم من كل ما دهسك لا زلت أنت أنت.. الأمر جيد إلى
 حد ما و لكنه مُنهك لحد كبير.. أنا أتحدث باسمك الآن؛ و مثلك لا
 أعرف كيف أرتب أفكارك و عبارتك.. لأنني أنت.. يا جانبي
 العاطفي، كفى !

كف عن هاته الحالة المزرية التي نعيشها بحزن و وجع دائم..
 أما اكتفيت؟ أما تعبت؟ ألم تفهم بعد أن هذا الأمر يجرفني وإياك
 للحضيض؟؟

كف عن اقتلاع أشلائي في كل مرة.. بربك.. بربك كف عن
 الحب، كف عن لوم النفس، كف عن جلدي، كف عن الحياة و مُتْ!
 أجل؛ أريدك أن تموت فأنا عاجزة عن الاستمرار رففتك.. إنك
 تتعبني كثيرا.. إنني أدفع عمرا بأكمله فداء للوجع. لا تكن طفلا
 بالله عليك، انضج عزيزي فكلهم شاخوا و ما عادوا صغارا إلا
 كلانا..

لقد مجدتك مرارا و ساندتك كثيرا كي نمضي.. لكنك في كل مرة
تتعب و تنحني ثم توجعني. أما مللت و كللت؟
كف عن هذا.. بربك.. عن هاته الحالة المزرية .. عن اقتلاع
أشلائي.. عن لوم النفس .. عن الحياة.. عن الحب.

أتعجب كون الناس يشتهون العودة لطفولتهم ! فأية حياة تلك كانت ممتعة ؟ فعلى الرغم من أن الوعي أو الإدراك أمر منهك يضع الإنسان في دوامة من الصرعات المختلفة أنواعها، إلا أن هناك جزء من هذا الوعي يجعلك متمتعاً بالحياة سواء بجماليتها أو ببشاعتها.. فالجزء الجميل الذي قد يلامسه الإنسان بروحه قبل كل شيء، هو الإيمان. فهذا الأخير يساعد بشكل شبه حتمي تدارك الصعاب و تقبل الحياة بمنعرجاتها و سيرورتها. فبعد الكثير من المطبات و العديد من النزاعات النفسية و الواقعية و كذا العاطفية منها، اكتشفت أو بمعنى أدق لامست بروحي و فؤادي أن الحب هو الله. قد تقول لي الآن: "إن هذا أمر بديهي و كلنا نعلم بذلك، ثم .. ثم.." لكن؛ هل شعرت بذلك في لحظة ما ؟ هل أقرت روحك يوماً أنها ضائعة بين بني آدم و أن ملجأها و وجوديتها و قيمتها تتجلى فقط أمام الرب؟ إن الأمر يصعب على الشرح. فكما ذكرت يوماً و أقول دوماً؛ أن هناك أمور تُحَسَّن. ثم أن الألسنة تعجز عن التصريح بها. ففكر فيما طرحته و لنعد لما شرعت به. إن ما قلته لا يلغي كون الطفولة مرحلة فيها من الجمالية حقها. إلا أنني لا أفضل أن أسترجع عيشها و لو للحظة. فقد تمكنت بشكل جزئي الانفصال عنها كي أنعم بالرشد و النضج اللذان سيمثلان "أنا" اليوم. لو بقي المرء طفلاً لما استمتع بقراءة الكتب و تعرف على محاكمات الفلاسفة، و أبدع في الشعر و الفن و لما كتبت هذه السطور. من الممتع جداً أن لا تظل طفلاً. ومن الممتع أن تتحرر

من عجزك، فالطفل كائن عاجز لا يقوى على التعبير بشكل
صريح عن ما يلجه من رغبات و مشاعر و لا يسعه أن يكون
متقفا و لو كان أفلطونا. وحده الإدراك الشبه كامل يجعل من المرء
ما يشاء. و يحرره من تحكم الطبيعة اللحظية أو المرحلية به.

كيف يتخيل المرء نفسه مجرد العاطفة لاهثا خلف الواقعية المزيفة؛ المُنتزعة من كل أنواع الحس الروحي الذي هو مفتاح أولي للسلام النفسي.. فإن جُرد الإنسان من جوهره المتمثل بعاطفته فقد انتُشل من نفسه. إذ أن الإنسان هو العاطفة. على الرغم من أن العصر أو العهد الذي يتسم الآن بالحدّات أو التطور الذي غلب عليه الطابع المادي؛ إذ صارت الغاية الحياتية تتمثل باستجماع كل ما يندرج باللموسات و الماديات، أو بتعبير آخر، كل جماد خال من الروح. إلا أن الحاجة العاطفية لها دور أساسي بانتماءاتنا و علاقاتنا بالآخر. حتى تجاه أنفسنا. فكيف بمقدورنا أن نتدارك الهيكلة الحسية الروحية و نبدلها بما هو زائل؟ أليست الأمور المتعلقة بالعاطفة كذلك زائلة؟ و ماذا إن انكسرت العاطفة؟

إن ما بداخل النفوس من حب نقي خال من كل مغريات الحياة الدنيا الزائلة؛ لا يزول، بل يظل متينا لا ينتزح، صامدا بوجه الواقعية الساخرة.. ثم إن رواد العاطفة -كما أطلق عليهم أحدهم- يستحيل أن يخضعوا للواقع و لو كلفهم ذلك خسران حياتهم، فإن خسارة حياة من أجل مبدأ؛ أهون من أن يخسر الإنسان نفسه لأجل حياة. و هنا أقصد بالحياة؛ الحياة التي فصلوها على مبادئهم المتعجرفة و المقيدة لكل ما هو روحي.

إن الإبتعاد المؤقت عن الشريك أو المحبوب؛ يمكن تسميته فترة نقاهة، أو فترة ترتيب الأمور ترتيباً صائباً منطقياً بعيداً عن الذبذبات العاطفية. فكما يعلم جلنا أن العقل يخور حينما يتشابك صاحبه بشخص يصدأ الفؤاد لأجله. و يظل فقط القلب من يقوم بكل الأدوار، كما الحاكم المستبد؛ فهنا يجب الفصل بين سلطتي العقل و الفؤاد ليقوم كل ذي واجب واجبه، و كي لا يهوي المرء بثغرة الضياع المستبدة لكل ما فيه من حب و عاطفة و دهاء..

و الأمر لا يقتصر هنا على العلاقات العاطفية و حسب، بل حتى الصداقات لا بد لها من استراحة. فأحيانا كثرة المحبة الزائدة و الاندفاع العاطفي يصبح نوعاً من الرعونة فيسقط المرء هنا في هاوية العبث. و يغدو شخصاً أخرقاً بعاطفته الصارخة. كيف ذلك؟ و لم هذا التناقض في كلامي؟

إن الحياة سلسلة من التجارب المتواصلة و المتكررة، و علينا أن نجعل أغلبها إيجابياً بالنسبة لنا فنقوى بفعلها.. ما علاقة القوة هنا بالصداقة و الحب و الابتعاد...؟ ما هذا الهراء..؟

القوة التي يجب أن نكتسبها هو تقبل أي شيء من الشيء الذي نراه مميزاً، و توقع كل شيء من شيء واحد ! (إن كلامي فيه شيء من العبث إن قرأته بشكل سطحي، لكن أمعن قليلاً و ستعلم مرادي)

إن الأحداث المتتالية توضح الصور بشكل بارز وضوح الشمس عند بزوغها. أنت لا يمكنك أن ترى النور إن لم تكن على بعد مسافة وسط الظلمة، كما أنك لن ترى الظلام أو تلك البقعة الداكنة البعيدة إن لم تكن محاطا بالنور. و هذا ما على الإنسان أن يقدم عليه. فهو لا و لن يكتشف الاختلاف -أو لنقل بشيء من المبالغة- الحقيقة إن لم يمعن النظر من بعيد، كمن يطل على هاوية فيكشف أهوالها.. هكذا يجب التعامل مع علاقاتنا.. فكثرة التضحيات في سبيل الأحبة لهُوَ أمر ليس بمريب و لا شك في ذلك.. لكن المريب أو المخزي هو استغلال هذه التضحيات أو التنازلات من قبل الآخر، وذلك استخفافا بالنية الحسنة، و أساس العلاقة ككل.

إن الغير أناني بطبعه لا محالة. و كما ذكر دوستويفسكي: "إن الإنسان حقير" و هذه الحقارة يتم تخميدها بالمكارم الأخلاقية، غير أن هذه الأخيرة قد تهوي تارة و تعود تارة لاستمراريتها، لكن على تلك الزعزعة أن لا تضرب صداقة ما أو حبا ما عرض الحائط.. فائق حقارات شتى محاطة بك، و ارمقها ليس بعين العقل فحسب؛ بل بعين فؤادك كذلك.. فللشعور أيضا حكمة، حكمة لا يستهان بها.

..أحيانا قد لا يكون الخطأ خطأك و لا خطأ غيرك، إذ لا يكون هنالك خطأ من الأساس. فغالبا ما تؤول الأمور للقدر وحده ولا يسعنا حينها سوى أن نقول: "هذا ما كُتِبَ علينا" قد يساورك شيء من اللامنطق في كلامي العابر هذا؛ إذ ستقول لي أننا نحن من نختار أقدارنا بملء إرادتنا و في كامل وعينا.. لكن أوتظن أننا حقا أحرار في فعل ذلك؟ لسنا أحرارا ما دمنا نمشي بتثاقل نحو الخطوط التي رسمت لنا.. الموضوع أعمق من أن يتحدث عنه المرء؛ حتى أنه يلقي الكثير من الجلبة و الاختلاف من قبل من يخوضون به.. فقط .. فقط.. هناك أخطاء ليس نحن السبب فيها؛ ولا غيرنا.. حتى أنه لا يوجد خطأ.. لا يوجد..

لقد كبلتني عواطفي و صرت حبيسة العذابات اللامتناهية، و مهما حاولت إضمار ما يشوبني أفضل، فأعيد الثرثرة و النكد اللذان لا يعودان علي إلا بوجع أعمق و شفقة مترجمة في أعين الغير؛ هذه هي مآزقي. فحين أركن كي أتصالح مع هذه الأخيرة، تبدأ نفسي الخرقاء بمهاجمتي بكلماتها المثبطة. فترثيني عاطفتي و يباغثني العذاب عنوة لأقع بين قبضتي ذاك اللوذعي.

تكفهر تفاصيلي كلها و أسير بدرب الوحدة وحيدة متأبطة الكثير الكثير من الأوراق بيدي و قلما.. أجلس القرفصاء عند أول كرسي عمومي يقابلني.. أبكي.. و أكتب دون انقطاع. عساني أهدم.. عساني أنشرح.. فتنفخر كل الجروح و تشرع دماؤها في السيلان المبهم. ترثيني الصخور، أعمدة الأضواء، الأوراق، القلم، الزقاق، إلا المارة.. فهم لايشعرون، صم بكم و عمي !

فيتنازع كل من العقل و العاطفة؛ ثم يتدخل القدر بينهما. فيقهقه الواقع من جهة، و تتبسم الحياة بخبث، و القلب ينزوي هناك و يبكي. يبكي بكاء شكاء، فيقترب منه الموت و يربث على كتفه ناظرا إليه بعينيه الجاحظتين و يظل العراك الأزلي قائما، فيعلو صوت جلبتهم لينخرني. أضع كفاي على أذني راجية الصمم. لكن شيئا ما يشل يداي كي لا أطبقهما على أذني.. فأسمع اللغظ و أنجرف لدوامة السراب.. ينطفئ كل شيء حولي فأشعر بالوحدة، ثم أبكي !

غريبة هي الأقدار التي تعيدنا لفاجعتنا الأولى، غريب كيف أن الحياة تبرهن لك أن ما كان يؤلمك أمساً حد الموت أصبح أمراً بسيطاً لا يبث فيك و لو قشعريرة الرهبة.. غريب كذلك كيف يتزامن يوم الفراق باليوم نفسه من عام آخر بيوم لقاء مبهم.. غريب.. غريب..

إن المرء في حاجة لمثل هذه الاصطدامات القدرية.. في حاجة إليها ليتأكد و يتيقن من مدى سخافة هذه الحياة. و من مدى الانقلابات التي قد تقع على مستوى عواطفه.. هي ليست باصطدامات أتت من عبث، بل هي مواعيد محددة و مدبرة من القدر دون شك. إذ يقف هذا اللوذعي في الركن المنزوي من المشهد ليرى تصرفك و انعكاس الاصطدام عليك.. فتقف أنت فاغر الفم ليس حزناً و خشية؛ إنما ساخراً بارداً..

لم أكن أتوقع أن يكون اللقاء بمثل هذه البداهة و البلاهة، لطالما تخيلت ردة فعل معاكسة لما حدث.. تخيلت أن أصرخ.. أن تقف نبضات فؤادي.. أن ... أن... لكن الأمر بدا و كأنه لا شيء..

إن الحياة تستمر بوجودهم و لا وجودهم، تغدو كما كانت دون أي تقلبات.. هي مسألة اعتياد، اعتياد أنهم لم يعودوا منتمين لأفئدتنا. من القلب أقول أنك لم تكن حباً.

انتهى ب: 29 .03 .2018